٤٥

مغامرات الجيل البوليسية

المغامرون الثلاثة فى.....

سر جبل الرعب

مُغامرات الجيل البوليسيّة

المغامرون الثلاثة في.....

سر جبل الرعب

٤٥

تأليف : رجاء عبد الله

دار الجيل
بيروت

مكتبة لسان العرب
www.lisanarb.com
نحن لا نصور الكتب وانما نعيد لاحيائها وتجميعها على شكل ارشيف

الطبعة الأولى
١٩٩٢
جميع الحقوق محفوظة

دار الجيل
للطبع والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

ص.ب ٨٧٣٧ - برقيا: دارجيلاب - تلكس: ٤٢٩٦٤ دار جيل

من هم المغامرون الثلاثة؟

إنهم « جاسر » و« ياسر » وشقيقتهما « هند »
وذلك حسب ترتيب الأعمار، والسنة الدراسية في المرحلة الثانوية.

الأب: هو المهندس « مختار الديب »، ويطلق على نفسه لقب المهندس الطائر، فهو يطير من بلد عربي إلى آخر.. يعمل في شركة عربية للمقاولات ويساهم في بناء العالم العربي الكبير..

الأم: هي السيدة « نيهة »، لبنانية الأصل، تنتقل مع زوجها في كل مكان، بعد أن وصل الأبناء الثلاثة.. الى أعتاب الشباب وسن المسئولية..

ويبقى من الأسرة.. واحد من أهم افرادها.. هو العم أو المقدم « عماد الديب »، الضابط بالشرطة الدولية « الانتربول ».. وهو الرجل الصامت.. الهادئ تماماً.. وكأنما هو أبو الهول كما يطلق عليه زملاؤه.. وهو الذي يقيم مع المغامرين الثلاثة في منزلهم الأنيق البسيط، والذي تحيط به حديقة واسعة، في مدينة المهندسين.. هذا الحي الهادئ بمدينة القاهرة..

وتلتقي الأسرة كلها عادة في صيف كل عام.. في مصر، أو في أي بلد عربي يعمل فيه الوالدان..

ومن هذا الخليط العربي الصميم.. الأب المصري والأم اللبنانية جاء هذا السحر الذي يتمتع به المغامرون الثلاثة.. العيون اللبنانية الخضراء، والبشرة المصرية السمراء، أضفت على المغامرين جمالاً وجاذبية، توجت ما يمتازون به من ذكاء فوق العادة، مع قوة ملاحظة وسرعة تصرف، كانت وراء النجاح تلو النجاح في كل مغامرة يتعرضون لها..

وهذه واحدة من هذه المغامرات.. الغربة الغامضة..

يَاسِر
جَاسِر

هند ... وعَجيبة

العم المقدم عماد
الأم السيدة نبيهة
الأب
المهندس
مختار

بسم الله الرحمن الرحيم

هدية غير عادية

ارتفع رنين جرس الباب الخارجي للفيللا الصغيرة التي يقيم فيها المغامرون الثلاثة جاسر وياسر وهند.. مع عمهم المقدم عماد.. ضابط الشرطة الدولية الخطير، ونظر الثلاثة الى بعضهم.. وقال ياسر: إنه ساعي البريد!

قفزت هند، وأسرعت تقطع الممر الصغير وسط حديقة المنزل وهي تقول: ــ نعم! انها الساعة الثامنة.. وهذا موعده!

وكانت تدرك وهي تسرع إليه، انه لا بد يحمل رسالة هامة، لأنه يريد تسليمها لهم بيده.. ولم يتركها في صندوق البريد كالعادة، وكان ظنها صحيحا..

فقد وقف الرجل مبتسما، فهو يعرفهم جيدا وقال: صباح الخير، لدي لكم رسالة شخصية، يجب التوقيع لاستلامها!

وهتفت هند ترد تحيته بترحاب، ثم وقعت له على الأوراق، واستلمت الرسالة وعرفت في الحال صاحبها، فقد كان خط

والدها العزيز واضحا عليها!

والتف المغامرون حول الرسالة يقرأون ما فيها، وكانت تحمل الكثير من الحب والأشواق.. وتحمل أيضا إيصالا يستلمون به هدية موجودة حاليا في قرية البضائع بمطار القاهرة.. وبمجرد انتهائهم من قراءة الخطاب، جلسوا في أماكنهم صامتين، وقد لاح على وجوههم شيء من الحزن الرقيق..

وارتفعت خطوات رشيقة تهبط السلم من خلفهم، كانوا يعرفونها جيدا، إنه عمهم العزيز الذي ألقى عليهم تحية الصباح وهو يجلس بينهم إلى مائدة الافطار وردوا تحيته بصوت هادئ على غير العادة..

نظر إلى وجوههم بدهشة.. وسألهم ماذا حدث؟. فمد جاسر له يده بالرسالة..

امسكها وقرأها، وزادت دهشته.. وقال: هل يحزنكم وصول هدية، لا بد وأنها كبيرة ما دامت في قرية البضائع!

قالت هند وقد اختنق صوتها بالبكاء: طبعا ! ألا تعرف معنى وصول هدية لنا في هذا الوقت من السنة.. في بداية الاجازة ؟!

وفهم المفتش الذكي على الفور وقال: ماذا تقصدين؟!

رد ياسر بحدة: معنى هذا أن أبي وأمي لن يحضرا هذه الأيام..

سوف يتأخر قدومهما.. لأنهما لو كانا قادمين لأحضرا الهدية معهما !

أطلق عماد ضحكة عالية وقال: رائع.. لأول مرة أرى المغامرين الكبار، وقد تحولوا إلى أطفال.. يبكون في حاجة إلى ماما، وبابا!

قال جاسر مبتسما: ليس الأمر كذلك يا عمي، ولكننا في الحقيقة نشعر بالشوق إليهما!

واكملت هند: هذا صحيح.. انني اشعر بالشوق الشديد لهما!

قال عماد في رقة: إنني طبعا اقدر شعوركم.. ولكن هناك شيء اسمه الواجب كما تعرفون، لا بد وأن العمل يشغلهما عن الحضور في موعدهما.. ولا بد أيضا أنه عمل هام وسيحضران قريبا.. ومع ذلك، فلأننا جميعا نشعر بالحنين لهما. سوف أقوم بطلب اتصال تليفوني طويل معهما هذا المساء، لنتمتع بالحديث إليهما.. وعلى حسابي ايضا.

وابتسم الثلاثة وشكروه في سعادة.. وأقبلوا يلتهمون طعامهم بشهية،

فقال عماد: وسوف أقدم لكم خدمة أخرى.. سأتصل بأحد اصدقائي من ضباط المطار وسأكلفه بمقابلتكم وتسهيل مهمتكم.. بل وسأدفع عنكم الرسوم الجمركية ايضا.. هيه.. ما رأيكم!

ولم يكن في حاجه إلى إعانة.. فقد التفوا حوله يشكرونه بحراره.. وبعد قليل كان يمضي بخطواته السريعه الرشيقة إلى سيارته.. وكانوا هم ايضا يتوجهون بنشاط إلى حيث تنتظرهم الهدية إلى المطار.

وصلوا المطار، وكل منهم يفكر في طبيعة الهدية ويتمنى أن تكون شيئا جديدا، فلديهم الكثير من الهدايا التي يرسلها لهم آباؤهم من كل أنحاء العالم وقطع الصمت ياسر وهو يقول: لا تستغرقوا في التفكير، لم يبق سوى دقائق وتعرف الحقيقة!

ضحكوا وهم يتقدمون إلى مكتب البريد، الذي كان في انتظارهم، وقد أنهى كل الاجراءات، ولم يبق سوى توقيعهم بالاستلام!

ولما توجهوا لحمل الهدية عمرهم الدهشة، فقد كانت طردا كبيرا وثقيلا، ولكنه موضوع داخل قماش سميك ومربوط جيدا وحملوا من سؤال سفير زياد عن طبيعة هذه الهدية الثقيلة.. واكتفوا بشكره.. ووضعوها بعد مشقة على عربة المطار المخصصه لنقل الحقائب، ثم تحولوا يدفعون العربة الصغيرة إلى الداخل.. وكان لا بد لهم من استئجار سيارة أخرى في العودة ووضعوا حملهم العامض على شكة السياره الخارجية. وأسرعوا بالعوده.

وعلى باب المنزل.. وقفوا ينظرون إلى هديتهم. وضحكت

هند وهي تتبادل النظرات مع جاسر. كان واضحا أن ياسر، بقوته الرياضية المعروفة، هو المسؤول الآن عن الهدية وقد كان. حملها بمساعدتهم إلى الداخل. ووضعها على الأرض، وأخذ ينظر اليها بأنفاس متلاحقة من اثر المجهود..

وأسرع هند، تمزق الغلاف الخارجي. بكل لهفة، واصطدمت يداها بكتب صغير، نظرت إليه، وصاحت في سعادة.. تصوروا! خيمة.. إنها خيمة!

واندفع ياسر، واختطف الكتيب، نظر إليه.. هتف: إنها أمنية عمري.. خيمة على أحدث طراز ظهر في العالم حتى الآن، إنها مكونة من حجرتين، بها نوافذ وابواب وأرضية ايضا، سهلة التركيب، والاستعمال، وكأنها منزل صغير!

والتقطت هند رسالة من داخل الهدية وقالت: أنظر! إن بها رسالة صغيرة!

وقرأت بصوت عال المكتوب بها «حتى لا تنسوا مشروعكم القديم!».

قال جاسر: يا لهم من أبوين عزيزين. أعظم أم. وأعظم أب.. لقد تذكرنا أننا كنا نحلم بالقيام برحلة حول بلادنا العزيزة.. مشروع اعرف بلادك!

قال ياسر: وهو ينظر الى الخيمة اعتقد أنها ستبدأ في تحقيق حلمنا!

وبعض النشاط الذي دب فيهم أسرعوا يحملون الخيمة الى الماء الجميلي للسمر، ولم يمض سوى أقل من الساعة، حتى كانت أمامهم خيمة رائعة من قماش مضاد للأمطار والرياح. لها نوافذ تغلق وتفتح، وحجرتان واسعتان بل وبها أيضا أربعة أسرة. أو أكياس للنوم . كل كيس يسع واحدا منهم ينفخ بمفتاح صغير يتحول الى مرتبة مريحة..

رائعة.. خيمة رائعة هدية مثيرة!!

قال ياسر معجبا: سوف ننام فيها الليلة!

جاسر: هل جئت.. إن وراءنا الليلة عملاً هاماً !

نظر اليه ياسر في دهشة. فقال جاسر: طعم. يجب ان نناقش

حطتنا. هل تتصور ان نستعمل الخيمة هنا، يجب أن نعد رحله بعيده، حتى تستعمل في مكانها الصحيح!

عندئذ انطلقت ضحكة هائلة، ونظروا حولهم بذهول، واذا بهم يرون « عجيبه » كبيهم الذكي وهو يطل برأسه، وقد اخرج رأسه من نافذة الخيمة..

وانطلقوا ضاحكين، وقال حاسر يسخر من « عجيبة » يشارك يسر في رأيه وسوف يقضي الليلة في الخيمه ايضا!

قالت هند: ولم لا ستكون تجربة طريفة، خاصة وان خطة الرحلة معدة تماما ولا ينقصها الا التعقيد!

واسهروا على صيحة دادة عواطف العاصفة، وهي تطلب منهم العودة الى المنزل لتناول طعام العشاء الذي مر موعده منذ فترة طويله

وأسرعوا إلى الداخل. وكان هناك أيضا عمهم عماد. نظر إليهم متسائلا، وهم يجلسون في اماكنهم حول الطعام وشرح له حاسر قصة الهدية، وقال: لم يمس أبي وأمي أبدا كنا نتحدث عن الرحلات وكنا نتمنى ان نستكشف بلادا، بلا اننا كنا نخشى ألا نجد الامكانيات المطلوبة للاقامة في الاماكن البعيدة!

قالت هند: وكنا فعلا قد حددنا مكان رحلتنا الاولى!

سأل عماد: اين؟

هند إلى الصحراء العربية، نريد الوصول الى واحة سيوة!

عماد إنها فكرة مدهشة ولكن الوصول إليها ليس سهلا ويحتاج إلى أشياء كثيرة، وليست الخيمة فقط!

حاسر هذا صحيح سوف نفكر في احتياجاتنا أولا قبل ان نقرر البدء في الرحلة!

قال عماد وهو يستعد للوقوف. هذا عظيم.. ما رأيكم في التفكير والتخطيط حتى عودتي في المساء، فقد يمكنني تقديم المساعدة لكم!؟

وشكره المغامرون الثلاثة فقد كان كلامه هذا يحمل موافقته لهم على الرحلة. الرحلة إلى هذ المكان في وسط الصحراء العربية الواسعة.. واحة سيوة!

روح الفريق

حول مكتب هذا الأنيق الصغير، ألف المغامرون الثلاثة. وأخرجت هند من درج مكتبها أوراقا منظمة وقالت: هي هي كل الخطط المتعلقة بالرحلة: الخرائط ومتطلباتنا من أعدية وأدوية وغيرها وكانت أمامنا عقبتان. جعلتانا نمتنع عن القيام بها الأولى: محل الإقامة والثانية: وسيلة المواصلات.

ياسر: لقد انتهت الآن المشكلة الأولى. فقد وجدت مكان الإقامة.. وبقيت العقبة الثانية!

هند: يجب أن نتغلب عليها هي الأخرى!

قال ياسر: أعتقد ان عندي الحل!

نظر إليه في لهفة، قال: لقد افتتحت هذه الأيام مكاتب عديدة لتأجير السيارات لتسوح، واعرف نوعا من سيارات الجيب المغطاه والمعقمة. ويمكننا ان نستأجر واحدة لمدة ثلاثة اسابيع.. هي مدة الرحلة!

سألت هند ولكن هل يوافق المكتب على تأجيرها لنا؟!

ياسر: هذه هي الخدمة التي سطلبها من عمي عماد إذا ذهب معنا الى المكتب سوف يوافق على الفور لأنه سيكون خير ضامن لنا!

حاسر: ولكن بقيت عقبة يا عزيزي إنها

قطعه ياسر صيحا أعرفها، قيادة السيارة أليس كذلك. اسي ايضا اعرف الحل نظر الى وجهيهما وقد بدت عليهما علائم الدهشة وضحك قائلا: ياسر يعرف دائما أكثر! أليس كذلك!

واطلق ضحكه عالية ثم قال سوف يكون عمي هو السائق؟

وقالت هند في استنكار علي من هو عمي هذا؟

قال عاصما. هل نسيت علي إنه صديقنا السائق الأسمر، الذي اشترك معنا في معامرة الرمز المفقود وايضا معامرة الاشارة الحمراء!

واشرق وجهها فجأة وهتف حاسر طبعا طبعا. كيف نسيناه؟ ولكن أين نجده؟

جلس ياسر في عظمة وقال أنا أعرف مكانه. وأستطيع إحضاره فورا!

نظرت إليه هند في شك . قال ضاحكا الحقيقة أني رأيته أكثر من مرة في هذه الأيام الأخيرة، إنه يعمل سائقا على سيارة أجرة، تابعة لأحد الجراجات القريبة منا في شارع الدقي وكثيرا ما مررت عليه للتحية وبعض الدردشة !

اتجهت هند إلى شقيقها حاسر وقالت ما رأيك ألا تشعر بشيء غريب يجري حولنا؟

أجاب حاسر ضاحكا إني لا أكاد أصدق نفسي!

وقاطعهما ياسر في مرح: أعرف . أعرف ماذا تقصدان.. إني أفكر في كل شيء واجد الحلول لكل المشاكل أليس كذلك طبعا إني أفكر إذا أنا موجود !

ووقف يستعرض عضلاته ويقول: لم أعد صاحب عضلات فقط، ولكن عقل ايضا.. ومع ذلك لا تحافا فما زالت عضلاتي تعمل بكل قوتها.. سأكون حارسكما الأمين!

وأطلق «عجيبة» ساخرا عاليا.. فقال ياسر: وأنت أيضا طبعا ستكون الحارس الأول يا عزيزي!

قال حاسر: شيء رائع اذا استطعنا العثور على «علي» واصطحبنا «عجيبة» معنا. سنكون فريقا رائعا.. من يدري، فقد نكتشف في الصحراء اكتشافات لم يسبقنا إليها أحد!

هـ ياسر واقفاً وقال. ولهذا إضاعة الوقت، سوف أذهب لبحث عن علي فوراً!

وصاحب هند، ومعها حاسر يحيا الشاطئ تحيا الهمة!

وصحك ياسر . وانحنى برد التحية وانطلق المغامر الشاب الشيط إلى مهمته..

ومضت حوالي أربع ساعات قبل أن يعود ياسر، فقضتها هند وحاسر وهما يضعان قائمة بكل احتياجات الرحلة، حتى لا يتركا شيئ للظروف واحد يسرحان كل خلافهما السابقة، ويتذكران ما كان يقصدهم فيها، فيعدونه لهذه الرحلة، حتى تأكدا من كل الاستعدادات. في اللحظة التي وصل فيها ياسر!

قال وهو يلقي نفسه على مقعد، كمن يستريح من عمل مجهد لقد بحثت عنه في كل مكان يمكن أن يوجد فيه في البيت، وفي الخراج وفي الموقف الذي اعتاد الوقوف فيه ولكني لم أجده وقد تركت له رسالة في كل مكان حتى يتصل بنا عند عودته!

هند: إنه عضو مهم في الرحلة، لن يمكننا القيام بها بدونه! وانطلق لسان عجيبه في هذه اللحظة، ولكنه كان لساناً مرحاً. ونساءلت هند ترى من القادم الآن؟ نحن نقترب من المساء! وأطل الوجه الأسمر من الباب وهو يقول نحن

الطلب.. هل من خدمة ؟!

وانطلقوا يرحبون به! إنه علي، وصل في الوقت الذي كان اليأس قد بدأ يتسلل الى قلوبهم!

قال وهو يجلس ببساطة فوجه حديثه إلى ياسر: كنت أصل إلى كل مكان ذهبت أنت إليه بعد مغادرتك له بلحظات.. ولذلك شعرت بأن الأمر هام، فأسرعت الحق بك الى هنا!

وعلى الفور بدأ ياسر يشرح له فكرة الرحلة، ورغبتهم في انضمامه إليهم ليقود السيارة والتي لا يمكن لأحد منهم قيادتها حيث لم يصل سنهم إلى السن القانونية المسموح بالقيادة عندها مع أنهم جميعا يتقنون القيادة وعلى الفور رحب علي بالفكرة.

وقال بحماس: لقد بدأت دائما أن أضحكم في مغامراتكم!

ياسر: ولكنها في الحقيقة إجازة، وليست مغامرة!

قال: لا يهم.. المهم أن نكون معكم

وصمت قليلا، وظهرت على وجهه الحيرة وسأله حاسر عن السبب، فقال وقد استعاد ابتسامته: لا شيء الحقيقة اني كنت مشغولا بالتفكير في أحد السائقين من رملائنا لقد اختفى منذ أسبوع، ذهب إلى المطار مع بعض الأحباب ولم يعد حتى الآن!

ياسر: وماذا ستفعل؟

علي: لا شيء صعبا لقد قام المكتب الذي يعمل به بإبلاغ الشرطة بحادث اختفاء السائق، ويحتمل أنه سافر مع بعض السياح ليقود بهم السيارة في رحلة ما والآن.. متى سيعود؟

— بعد أسبوع على الأقل!

جاء الصوت حاسما من ورائهم نظروا! كالعادة كان صوت لمعلش عماد الذي قال: بعد أسبوع حتى يتفرغ ياسر بعض مبادئ ميكانيك السيارات. تحسبا لأية ظروف!

رد يسر وحكي فعلا أعرف الكثير عن تصنيع السيارات!
وقال عمي وأنا أثق ذلك تماما!
قال عماد بصوت ناثر ومع ذلك فإني أريد مزيدا من التمرين!
ولم يكن أمامهم إلا الموافقة..

بداية الرحلة

مضى الأسبوع سريعا أنهى ياسر ميكانيك السيارات.. وقام المقدم عماد باستئجار السيارة. واستعد علي لقيادتها وهي اليوم الأخير قدم لهم عمهم مفاجأة جديدة، فقد زود العربة بجهاز لاسلكي من النوع الحديث، حيث يمكنه الاتصال بهم في أي مكان، كما يمكنهم ايضا الاتصال به.

في الصباح الباكر.. بعد الفجر مباشرة بدأت الرحلة، كان هذا هو الموعد الذي اتفقوا على بدء رحلتهم فيه. ففي هذا الوقت يكون الجو رقيقا والهواء ما زال باردا ولم تشتد الحرارة أو تسطع الشمس بعد، وحتى يمكنهم الاستراحة في وقت الظهر الشديد القيظ. وقبل أن يقفزوا الى السيارة كان «عجيبة» قد احتل مكانه بجوار السائقة واخرج رأسه منها فقد كان يفهم تماما أنهم في سبيلهم إلى رحلة طويلة

واختاروا في البداية أن تكون رحلة عادية من طريق الاسكندرية

— مرسي مطروح ومن مرسي مطروح كان عليهم الاتجاه جنوبا وسط الصحراء الشاسعه والطرق الفرعية الي واحة « سيوة ».

وهكذا وصلوا الى الاسكندرية مع بداية الصباح ولكن «علي» لم يتوقف هناك بل انطلق على طريق الكورنيش الممتد عربا حتى مرسي مطروح.

وقال ياسر معلقا لو توقفنا في الاسكندرية فلن نقاوم اغراءها، وسيضيع منا يوم على الاقل.

هند: هذا صحيح ولذلك وضعنا في خطة الرحله عدم التوقف في الاسكندرية.

حسن: أمامنا الآن مجموعة من البلاد الصغيره أو القرى التي يسكنها الأعراب وأول بلدة ستقابلنا هي «برج العرب» وبعدها «العلمين»..

هند: ما رأيك يا « عمي » ؟. هل يمكنك أن تهدئ سرعتك قليلا حتى التقط بعض المناظر الطبيعية هنا؟

ياسر: طبعا. انظري هذه الفاتنة الصغيرة. إنها تستحق صورة!

وكانت السياره تقترب من فتاة صغيرة تسوق أمامها مجموعة من

الأعمام وتوقف «علي» تقريبا أمامها!

ونظرت اليها «هند» بإعجاب وقالت إنها لم تتجاوز العاشرة.

جاسر: ولكنها مسؤولة عن رعي هذه الأغنام كلها

قالت «هند» وهي توجه إليها الكاميرا: أنظر إلى ثوبها.. إنه مطرز تطريزا بدويا رائعا وكذلك هذه الطرحة التي تضعها على رأسها. لو عرض هذا الثوب عندنا في محل لباعه بعشرات الجنيهات.

جاسر: إن هذا الفن اليدوي تعلمه الأمهات للبنات جيلا بعد جيل.

وفجأة اندفع (عمي) بالسيارة وقال: لو أننا توقفنا أمام كل طفل وطفلة يقابلنا فلن نصل إلى «سيوة» أبدا.

ضحك جاسر وقال: ولا يهمك إننا سنجاور الآن «برج العرب» في طريقنا إلى «العلمين»!

هند: وأظن انه يجب أن نتوقف عندها. فالعلمين معروفة طبعا بأنها ساحة أكبر معركة من معارك الصحراء. ويقولون إنها غيرت مجرى الحرب العالمية الثانية عندما هزم فيها الألمان امام الحلفاء.

ياسر: أنت ملكة التاريخ أيضا يا عزيزتي، صحيح أن فيها متحفا حربيا رائعا، ومقابر ضحايا الحرب وأن السياح يأتون إليها من

جميع أنحاء العالم، ولكنا يجب ان نتوقف فيها لسبب آخر تماما..

وصرخ «حاسر وهند» في وقت واحد، وقد تصورا أن لعربة قد حدث بها عطل أو تحتاج إلى تصليح لماذا؟ لماذا؟

نظر إليهما «ياسر» نظرة تعجب شديده وقال: لماذا؟ لأني أكاد أموت من الجوع . أريد ان آكل . آكل ولا بد أن شاون معا وجبة شهية تساعدنا على مواصلة الرحلة .

وصاحت هند من فصلك يا «علي» لا تتوقف!

انطلق «حاسر» يضحك ويصحك ونظر إليه «ياسر» بعيد مسائلا ولكنه تجاهله وهمس في أذن « هند » إنه يتصور أن « العلمين » قرية حدا، طول عمره يكره الحضر، فإن بيننا وبينها عشرات الكيلومترات

وصحكت «هند» ومدت يدها ساندويتش إلى «ياسر» وقالت: تفضل حتى نصل. وامسك «حاسر» بالخريطة بين يديه وقال: سنستريح قليلا في «العلمين» ثم نواصل السير حتى «الضبعة» ثم « رأس الحكمة » ومنها مباشرة إلى مرسي مطروح حيث نام ليلتنا. هكذا تقول الخطة أليس كذلك يا « ملكة العمرية » ؟!

هند: فعلا ولكنى أيضا لن تدخل مدينة « مرسي مطروح » الساحره بل سنقيم خيمتنا خارج المدينة عند مشارف الطريق

الموصل إلى « سيوة » !

وصمتوا قليلا، كانت الحرارة قد بدأت تشتد ولكنهم استعلوا بمناظر الساحل والأعراب والبلاد الصغيرة، ومرت ساعات حتى وصلوا إلى «العلمين»..

وصاح «ياسر» بمجرد وصولهم الطعام الطعام. لا أريد ساندويتشات.. أريد طعاما..

قالت هند بهدوء الطريقة سنقضي على كل مؤونتنا وسنموت جوعا في الصحراء. وانطلق «عجيبة» ضحكة قوية.. وقال ياسر: حتى «عجيبة» يسخر احتجاجا على كلامك أنت وزيره تموين قاسية.

أشارت «هند» الى «عجيبة» وقالت «لياسر»: خذه واذهب الى المطعم الصغير وتناولا ما تريدان من الأكل.

وانطلق «الاثنان» وأخذت «هند» تتجول في المنطقة التي حولها رأت مكانا فسيحا مهيئا بالمقاعد، وبين الحين والآخر تقف سائحة تصنع باقة من الزهور، ورأت مبنى جميلا مكتوبا عليه « متحف العلمين الحربي »، وأخذت « هند » تفكر ثم هزت رأسها وعادت إلى «ياسر» قائلة: ان منطقة الساحل الشمالي كلها تحتاج إلى زيارة خاصة.

جاسر: معك حق!

وجلسوا في ظل شجرة، حتى عاد «ياسر» متحمما بالأكل «وعجيبة» يهز ذيله سعيدا، وعندما بدأت الشمس تتحول إلى جهة الغرب اتجهوا إلى مساكنهم، ومرة أخرى عادوا إلى الطريق، وقبل أن يحل المساء كانوا يقيمون خيمتهم الفاخرة على بعد أمتار من الطريق الموصل إلى مرسى مطروح وعلى بابها قبع «عجيبة» وفي الداخل قال جاسر: هيا الى النوم لقد قطعنا طريقا طويلا، ولكنه الطريق السهل، أما الصعب فسيبدأ غدا!..

مع اشراقة الصباح الأولى كان «علي» يقود السيارة بهدوء متجها بها إلى قلب الصحراء. الطريق ضيق لم يمهد بعد. واحد من سلسلة الطرق التي مهدها الناس بمرور السنين. المشهورة باسم «المدقات» فهو طريق رملي. اصبح محددا ومعروفا مع صوت استعماله من الناس وعرفه ركاب السيارات فساروا عليه واصبح معروفا باسم «المدق».

قال «علي»: يجب أن نقطع كبر قدر ممكن من الطريق قبل ان تشتد حرارة الشمس، فهي حارقة وملتهبة

هذا معك حق، ولكن ليس معنى ذلك أن تسير بسرعة كبيرة فالطريق كما ترى لا يمكن الاسراع فيه

ضحك «علي» وقال اطمئني، أنت تركبين مع أمهر سائق في العالم.

وهي ذلك الوقت كان «ياسر» يمسك بخريطه كبيرة ينظر إليها ويحدد أماكن سيرهم عليها، وقال أمامنا حوالى ٨٠ كيلو إلى مائه لنصل الى «عين خالدة» ثم نعرج إلى طريق آخر . طريق فرعي أيضا..

هند: هذه منطقة كبيرة بها الكثير من السكان أو الاعراب بعضهم من العرب الرحل وبعضهم يقيمون في نجوع نائية «والنجع» قرية صغيرة حول عين أو عدد من عيون الماء كما سنرى عندما نصل إلى «عين خالدة».

ياسر ستكون فرصه للتعرف عليهم، ودراسة عاداتهم وتقاليدهم، انهم مجتمعات خاصة لها قوانينها وعاداتها ولكن هذه النجوع ليست على الطريق مباشرة. وسنضطر الى السير في الصحراء مدة طويله اذا كنتم ترغبون في زياره هذه النجوع.

هند طبعا وإلا فلماذا نقوم بالرحلة!!

ياسر ما دمت لا تشعرين بمتاعب القيادة في الصحراء فلن يهمنا ان نذهب الى آخر الدنيا..

ضحكت «هند» وقالت ولم لا . إليس معنا أمهر سائق في الدنيا؟!

ابتسم «عمي» وهو يشعر بالفخر .

سارت السيارة بين ضحكات الأشقاء. وورعت عليهم «هند» الأفطار التي كانت قد أعدته من قبل، أكلوا وضحكوا، وتمتعوا طويلا بمنظر الصحراء الصامت.. كان لون الأصفر حولهم لا يتغير، ولكن التلال والرمال والروابع الصغيرة التي يدور بعضها حول بعض هي التي تعطي الصحراء منظرا مميزا مهيبا

ومضى الوقت وبدأت الشمس تشتد حرارتها شيئا فشيئا.

وقال «ياسر»: الحمد لله اقتربنا من نهاية هذا الطريق واعتقد اننا سوف نتوقف عند مفترق الطرق حتى تخف حرارة الشمس. ثم نتجه الى طريق محطة القطارة

جاسر: تماما لقد أصبحت فعلا من الرحالة يا ياسر.

وفجأة صاحت «هند». أنظروا أنظروا.. يبدو أننا قد اقتربنا فعلا من «أثر خالدة»

وفجأة سمع «عجيبة» وكاد يقفز من نافذة السيارة لولا أن أمسك به «جاسر» ونظروا إلى الخارج هذا على البعد عبر جمل يجري بسرعة هائلة.

وتنهد ياسر وقال ها هوذا الجمال الحقيقي.. العراق الشارد الرشيق

قال جاسر: يقولون إنه أشهى لحم يأكله الاعراب

هند: هل تحاول صيد غزالة..؟

حامد «ياسر» هو المختص بالصيد!

ياسر: أنا! هذا مستحيل، من يستطيع أن يقتل هذا الحمال الحي إن الذي يصطاد الغزال لا قلب له ولا احساس.

وضحكوا جميعا وقالت «هند» لقد بدأ ياسر يتحول إلى شاعر رومانسي عظيم! واقتربت السيارة، وهي تسير ببطء لصعوبة الطريق، من مجموعة من اشجار النخيل المتناثرة.

وقال «عمي»، سوف نتوقف هنا بعد اشتداد حرارة الشمس ويجب ان يبرد «موتور» السيارة ونستريح حتى تنكسر شدة الحرارة.

هند وطبعا لكي نأكل أليس كذلك يا ياسر؟

وضج «عجينة» بضحكة عالية، وضحك الجميع

واقترب «عمي» من مجموعة صغيرة من الأشجار فروعها قليلة وأوراقها تميل إلى الاصفرار وانحرف بالسيارة ليوقفها وسط هذه الاشجار.

وقفزوا من السيارة يساعدهم «عجينة» وسرعان ما أخرجوا شمسيه كبيرة تقف على اعمدة رفيعة من المعدن عرسوها براعة في الرمال، فألفت ظلا واسعا، وأحضرت «هند» الثلاجة الصغيرة والطعام،

وتمددوا تحت المظلة يأكلون ويشربون و«عجينة» يقفز حولهم سعيداً.

فجأة انطلق «عجينة» إلى قلب الصحراء وهو يطلق نباحا عاليا، وصرخ فيه «ياسر»: تعال هنا لو غبت عن عيوننا ستبتلعك رمال الصحراء ولن نراك مرة اخرى..

وعاد الكلب الأمين وهو يواصل النباح ويدور في حلقات واسعة!

قال ياسر: يبدو أنه رأى غزالا شاردا آخر..

وأشارت هند بعيدا.. وقالت: انظروا هناك!

صمتوا تماما ونظروا بعيدا.. كانت هناك كتلة غير ظاهرة الملامح، وشيئا فشيئا بدأ يظهر حمل كبير يحمل راكبا فوق ظهره

وحماران يحملان أمتعة، وعدد من الأولاد يحرون حول الحمارين وبعض الأغنام..

جاسر: إنهم أسرة من الأعراب. أنظروا كيف يبدون وجوههم فلا تظهر غير عيونهم . ! إنهم يحاشون الرمال

ياسر: هل تعتقد انهم بعض العرب الرحل!

جاسر: وماذا يكونون غير ذلك!

هند: هل يقتربون منا؟ أرجو ذلك!

جاسر: لا . أنصري لقد اتجهوا جنوباً يبدو انهم وجدوا « بئر حالدة » جافة فاتجهوا إلى عين قطارة!

هند: ربما.

اتكأ «ياسر» على يديه ومد قدميه على الأرض وقال ما الذي جرى لـ « عجيبة » ؟ انظروا كيف يدور حول نفسه كالمجنون

هند: لعله مسرور بالصحراء، فهي المرة الأولى التي يخرج فيها إلى رحلة صحراوية!

وعندما بدأت الشمس تتجه إلى الغروب كانت السيارة تخوض طريقها وسط رمال الصحراء في طريقها الى «بئر حالدة» وكان

«حامر» يسعى بالوصلة في توجيه «علي» الذي كان يحاول بكل جهده ان يبقى الاصطدام بالتلال الكثيرة التي تحيط بهم، أما «عجيبة» فهو لم يكف عن الساح والدوران حول نفسه في مكانه الضيق بالسيارة وفكرت «هند» هل يشعر «عجيبة» بخطر قريب ويحاول ان يحذرهم منه.. وقبل ان تستغرق في أفكارها سبح الكلب سبحة عالية واهتزت السيارة هزة عنيفة يمينا ويسارا ثم توقفت. وانطلق من الرمال يثور حولهم ويغرق العربة من كل اتجاه. وكأنها أمواج بحر هائج تضرب سفينة صغيرة.

ولم تنقطع أمواج الرمال من الاصطدام بعربتهم، والريح الصارخة التي تعوي وتريح الرمل من حولهم في طريقها كالإعصار المدمر والسيارة تهتز في ارتجاجات عنيفة!

وبدأت «هند» ترتعد، فقد اجتاحها الظلام يحيط بهم، وقال لها حامر مشجعا هل أنت خائفة؟ ألا تعلمين أن العواصف شيء عادي في الصحراء وأنت معامره ورحالة قديمة، تحافظ؟!.

قالت «هند» في همس: لم أكن اتصورها رهيبة هكذا إن الظلام يحيط بنا من كل جانب مع أني متأكدة من أن الشمس لم تغرب بعد!

حامر طبعا — لم تغرب الشمس — ويمجرد ان تنتهي العاصفة

سوف نراها مرة اخرى!! وفجأة ومرة أخرى اهتزت السياره هزة عنيفة يمنا ويسارا ثم استقرت في مكانها والعاصفة حولها تشتد وتتصاعد..

وابتسم ياسر ابتسامه مرهقه وقال وهذا ترحيب حار من الصحراء بنا

وستذكر لي «عجيبة» الذي كان ما يزال يلح في مكانه وصرخ فيه كفى يا عجيبه كفى، يا عجيبه كفى، أنت تثير أعصابي

قال هند لقد كان يحاول احساسا منه بهذه العاصفة، ترى لماذا ينبح الآن؟

سهد علي وقال. إن ما أفكر فيه حاليا هو كيف نحرر السيارة من الرمال؟

جاسر أما ما أفكر فيه أنا فهو لماذا تهتز السيارة هذه الهزات العنيفة، مع ان المفروض أنها قد غرست في الرمال.

واصلوا جاسس يطرون إلى العاصفة من خلف الزجاج في دهشة شديدة، فقد كانت شيئا غريبا اقوى من كل ما تصوروه من قبل

وكما بدأت العاصفة فجأة هدأت فجأة وانقشع الرمال وظهرت الشمس وصفا الجو، ولم يعد أمامهم إلا الصحراء الممتدة التي تحوي أسرارها بين رمالها كما تحوي عواصفها

وقطر « ياسر » حتى تأكد من أن العاصفة قد انتهت تماما ثم قفز من السيارة ودار حولها، ثم أطل برأسه داخلها وقال: الحمد لله إن الهزة التي حركت السيارة منعتها من الغوص في قلب الأرض. سريع بالحاروف من حول العجلات بعض الرمال، ثم تواصل رحلتنا على الفور

وبحماسة قفز الثلاثة ومعهم «علي» وأمسك كل منهم حاروفا، واخذوا يزيلون الرمال بنشاط من حول السيارة وجلس عيسى أمام عجلة القيادة وبدأ تحريك العربة والمعامرون الثلاثة يدفعونها بكل قوة حتى قفزت فوق الرمال وبدأت الحركة أسرع بها علي قليلا، وجرى المعامرون الثلاثة وراءه، ثم ابطأ من سرعته وقال ياسر ضاحكا أليس الجري في الصحراء ممتعا؟!

وهجمت عليه هند في اللحظة التي صاح فيها جاسر أنظروا انظروا هناك..

وكان مطر عربيا عشرات من الناس تجري وتتصايح وينادي بعضهم بعضا. وقد حمل كل على كتفه حملا خفيفا أو ثقيلا، وكلهم يجرون بكل قوتهم وكأن هناك من يطاردهم فيرتفع صوت صراخهم وبكائهم ويزيد من فزعه فرع الصحراء الذي يجعل الصوت يصل إلى أبعد مدى..

وبدون أي كلمة.. اندفع علي نحوهم بالسيارة حتى اقترب تماما منهم وتوقف، وصرخت «هند» في فزع أنطروا! إن فيهم بعض الجرحى!

كانوا مجموعة من العائلات. شيوخا وشبانا وأطفالا وكلهم يجرون وهم يحملون أحمالهم وكأنهم يهربون من شيطان يطاردهم!

فقر «ياسر» قريبا منهم وسأل أحدهم ماذا حدث؟

لم يكلم احد من أحدوا ينظرون إليه في شك. توقفوا واقترب بعضهم من بعض ولم يرد واحد منهم على أسئلة «ياسر» المتكررة!

بدون تردد أمسك «هند» حقيبتها الطبية. وقفزت من السيارة واقتربت من أحد الجرحى. كان طفلا محمولا على ظهر أمه. أمسكته «هند» بكل رفق وقالت: يجب أن نطهر الجرح حتى يتوقف النزيف!

ولم تهتم بخوف الأم الذي بدا في نظراتها، وانما امسكت بالقطن والمركيوكروم وبدأت تطهر الجرح وتربطه وعندئذ توقف النزيف. وتوقفت قطرات الدماء التي تسيل على ظهر الأم

وطلبت من «ياسر» أن يحضر فراشا، ووضعت عليه الطفل الجريح،

ونظرت الى آخر وقالت هيا بنا يا عدوي!

وكان الأعراب في ذلك الوقت قد توقفوا في شبه دائرة حول المعسكريين الثلاثة الذين بدءوا يعملون في صمت في علاج الجرحى، وربط جراحهم وتطهيرها حتى اذا انتهوا منهم وقفوا في مكانهم ونظر الثلاثة الى القسمة المحيطة بهم. وقال «ياسر» بابتسامة كبيرة هل هناك خدمة أخرى يمكن ان نؤديها؟!

نظروا اليه وظلوا صامتين. اختار «ياسر» ونظر الى شقيقه حائرا.

قالت «هند» بصوت خافت لست ادري ماذا جرى لهم هل هم لا يتكلمون العربية، أم إنهم خائفون منا؟. كنت ارجو أن يكون قد سبقتهم بعد ما فعلناه!

فجأة تحرك «شيخ عجوز» وتقدم من الأولاد وقال نشكركم كثيرا على ما فعلتموه معنا، ولكن هل يمكن أن تتموا حملكم، وتنقلوا هؤلاء الجرحى الى هذا المجمع!

وأشار بإصبعه عموما ولم يكن هناك أي تجمع ظاهر في الصحراء! واقترب الثلاثة يتشاورون، وسألوا هل يتركون الحمله التي رسموها لرحلتهم ويتوجهون مع هؤلاء الناس إلى حيث يذهبون

وقالت «هند» أعتقد أن هذه حالة إنسانية وضرورة لا بد منها،

فكيف نترك هؤلاء الأطفال الجرحى المساكين!

تقدم «ياسر» من الشيخ وقال تحت أمركم لقد كنا متجهين الى «بئر حالدة» ونكنا على كل حال سوصلكم قبل ذهابنا ثم نعود!

وصرخت الاعرابية «الأم» التي صمدت هند جراح ابنها لا.. لا.. لا تذهبوا الى هناك لا تذهبو الى هناك!

وصرخ شيخ فيها اصمتي ثم اتجه اليهم وقال شكرا لكم.. وهيا بنا سيسير هذا الجمل أمامكم انه يعرف الطريق جيدا!

تبادلوا النظرات في صمت وتجهوا الى السياره

وقفزت «هند» إلى السياره من الخلف كانت سيارة الجيب متسعة جدا وبها مقعدان متقابلان من الداخل كبران اعدهما «هند» وبدأت تساعد الأطفال على لركوب حتى طمأنت إلى أنهم يجلسون بطريقة مريحة، ثم جلست بينهم

وبدأت السيارة تتحرك وراء الجمل وقال «علي» هل يسير على سرعة هذا الجمل؟!

جاسر. لا تسخر من الجمل تعتقد أنه يسير في الصحراء أسرع منك!

هذا ما حدث. فقد كان «علي» يحاول جاهدا أن يدرك الجمل

الذي يجري بحفة ورشاقه في حين تسير السيارة وسط الرمال بكل جهد ومشقة

أما «هند» فقد احرجت عينه من الحنوى وأخذت توزع منها على الأطفال حتى أخذوا يأنسون لها ويطمئنون إليها وسألتهم: أين تذهبون الآن؟

قال أحدهم إلى بحر حالي «عمار»!

وفجأة انحرفوا يكون طريقة هستيرية وتمسك بعضهم ببعض في رعب شديد وصرخ اصغرهم وهو ينظر إليها الزلزال.. الزلزال..

وكانت مشكلة لم يستطع أن تجعل الهدوء والسكينة يعودان إليهم الا بعد جهد شديد، وجلست بينهم في حيرة، وعادوا هم إلى الانكماش والخلوس في صمت كامل

ومضى حوالى ساعتين وسط الرمال الناعمة الصفراء . والحرارة الشديدة وجو التوتر الذي يسود الجميع وفجأة أشار راكب الجمل يده إلى بعيد.

ونظر «علي» بعيدا في الدينه — ثم بدأت تلوح له مجموعة من الاشجار . أطراف أشجار ثم تتضح الرؤيه كلما اقترب، حتى ظهرت الجبال المنوعة الكبيرة ومرة اخرى أشار له «راكب الجمل» أن يتوقف..

وقف «عمي» بسيارة بجانب الجمل وقال له: اركب انتظرني هنا.. لن أتأخر عليكم كثيرا..

وتحول «ياسر» و«حاسر» يطوفان في داخل السيارة كأنهما حائرة وسط لأطفال، وكان كثرهم قد استغرق في النوم

قال ياسر: هرسا إلى صحراء لنهرب من المغامرات فاذا بها تسقنا!

حاسر: ومن يدري؟ لعلي يحدثني أنها ستوجه مغامرة من أغرب المغامرات التي صادفنا في كل حياتنا

ياسر: إن كل مهمتنا أن نسلم هؤلاء بحرحى ثم نطمئن عائدين بتتم رحلتنا كما خططنا لها.

حمد: وهل هذه مغامرة؟ هل عمي يعرف الحقيقة وراء هؤلاء لرؤساء المساكين! ولماذا تركوا ديارهم؟! ولماذا يرتعدون من الخوف؟!

وفجأة ظهر «ركب الجمل» عائدا مرة أخرى اقترب منهم وقد صهرت على وجهه علامات الحيرة الشديدة

وقال: هل يمكن أن ننتظر معي حتى يحضر باقي القوم؟!

ياسر: عماد؟ أين ترى هؤلاء الأولاد هذا؟!

صمت الرجل كأنه يحسي الحديث ثم قال أعتقد أنه لن يمكنهم البقاء هنا أيضا.

حاسر لماذا؟

الرجل. لأن. لأن قبيلة «عمار» سترحل أيضا!

حاسر ما الذي يحدث هل لماذا يرحلون؟

الرجل: لا لا يمكنني أن اخبرك لا شيء. ولكنها ترحل هذا كل ما استطيع ان اخبرك به..

تقدمت «هند» وسألت بهدوء: هل يرحلون الآن؟

الرجل: غدا.. صباحا!

هند إذن على الأقل يمكنهم أن يقدموا طعاما لهؤلاء الأولاد المساكين إن طعاما لن يكفيهم!

الرجل أعتقد ان هذا ممكن سأحدث عمي الشيخ «عمار» في هذا الأمر..!

وانطلق عائدا الى خيام القبيلة..

وجهت هند حديثها إلى «علي» الذي كان يقف وراءه يا «علي» اقترب

إلى اقرب مكان ممكن . يجب أن نعرف ماذا يجري هنا!

اقترب «عمي» بالسيارة حتى وصل إلى قرب الخيام وأصبحوا في موقع يستطيعون أن يروا منه ما يحدث داخل القبيلة

كانت مجموعة الخيام بعضها صغيرة وبعضها كبيرة والبعض الآخر متناثر بعيد عن بعض، ولكن كانت هناك حركة واضحة، كانوا يجمعون أمتعتهم ويرتبونها استعدادا للرحيل وكان من الواضح انهم يعدون ذلك مرغمين فقد كانت سمات القبيلة تجمع الامتعة وسط البكاء والنواح!

وأخيرا عاد « الرجل » وقال إنهم يعدون لطعام ويرحبون بكم أيضا ويدعونكم الى مشاركتهم في اكلة بدوية

وسأل ياسر: هل نبقى طويلا؟!

ولم يرد «الرجل»، ولكن عصبه كانت توسلان إليهم أن يتطروا معهم!

وبدأو يقلون الحرجي إلى بساط كبير وضعوه وسط الخيام وبعد قليل كان الأولاد الصغار الحرجي يجلسون وسط مجموعة كبيرة من أصدقائهم وأخذوا يتحدثون بلهجة سريعة جدا لم يستطع المغامرون الثلاثة ان يفهموها فنظر بعضهم إلى بعض . ونفهموا بنظرات سريعة جلسوا وسط الصغار وأخذوا يتحدثون

معهم.. ووصل الطعام..

كمية كبيرة من اللحم المشوي اللذيذ، فشاركوهم الطعام، ولم يتحدثوا اطلاقا عن رحيلهم عن بيوتهم.

وقال «ياسر» لهم: هل تحبون الصور؟ من منكم يريد ان التقط له صورة يأخذها معي بعد دقيقة؟!

وتصايح الأولاد.. أنا.. أنا.. أنا.

أسرع «ياسر» إلى السيارة وأحضر منها الكاميرا الحديثة التي يمكنه ان يلتقط بها الصورة، وتظهر واضحة في خلال دقائق

اجلسهم متجاورين والتقط لهم صورة ثم انتظر قليلا واخرجها من الكاميرا وما أن رآها الأولاد حتى أخذوا يقفزون من الفرحة وكل منهم يشير الى نفسه فيها

والتفوا حول «ياسر» وكل منهم يطلب منه أن يصوره صورة خاصة بمفرده وضحك «ياسر» وقال لهم حسن حسنا.. سأصور كلاً منكم صورة.. ولكن يجب ان نختار مناظر جميلة لتقفوا فيها فليختر كل منكم له مكانا

وأخذوا يجرون في كل مكان بحثا عن موقع يختاره كل منهم ليكون خلفية لصورته التذكارية.

ابتسم حاسر وقال سيصبح «ياسر» صديقا لجميع في أقرب وقت!

هند أرجو أن يستطيع معرفة ما يحدث حولنا!

وعند «حاسر» بدأ الشمس كانت قد بدأت تميل الى الغروب واستند الى جذع شجرة واخذ ينظر الى الحركة من حوله وقال: المنظر ساحر ولكنه غريب انظري الى هذه الأضعة التي يعلوها والى الدموع في عيونهم أليس هذا غريبا؟

هند ومع ذلك نقول انها ستعود الى طريقنا المرسوم هل هذا معقول؟

حاسر: غير معقول وغير ممكن أيضا لقد بقضي وقت طويل حتى نعرف في الظلام..

هند: إذن سنبيت هنا الليلة!

جاسر: ونرحل معهم في الصباح!

وبدأ نسيم العليل يتلاعب في الجو وقالت «هند» وهي تستند على حدع الشجره أشعر أني سأستغرق في النوم!

وفي هذه اللحظه بدأت أصوات صحة تقترب واسه المعامران كان أهل النجع يقتربون وهم ما زالوا في نواح وبكاء وعويل

وفجأة وجد المعامرون أنفسهم وسط معمعه غير متوقعة. فقد ارتفع صوت أهالي النجع الذي يحتسون فيه مستقبلون القادمين بالصراخ والبكاء. واحتفظ القادمون بالحاضرين وزادت الصحة من حيره أني وجد المعامرون أنفسهم عارفين فيها

ومضى وقت طويل قبل أن تهدأ الضجه وتسود السكون الصحراء والنجع والناس..

اقترب «الرحل» الذي صاحبهم في حضورهم، واخبرهم انهم قد عدوا لهم خيمه ليبيتوا فيها ليلتهم. وأشار إلى خيمة كبيرة نظيفة مفروشه بالسجاد والمرتب وقريبه من المكان الذي تقف فيه السيارة!

سكره «جاسر» وأخبره أنهم ينتظرون شقيقهم الثالث «ياسر» الذي ذهب ليصور الأولاد . وكانوا قد لاحظوا أنهم يعودون واحدا بعد واحد ومع كل منهم صورة تحري الى خيمه شريها لأهله

ومضى وقت طويل وغرق الكون في الظلام فيما عدا بعض النيران المتناثرة أمام الخيام وقبل أن ينام الجميع «هند» لتعبر عن حبها من تأخر «ياسر» إذا به يقف أمامها وكان وجهه يطق بأنه يحمل أخبارا خطيرة. وفي يده ولد في العاشرة من عمره قدمه لهم قائلا إنه صديقي «عمر» سيعود ليضحي بعد قليل في حوله نبية !

وجرى الولد وفي يده الصورة وقال سأعود في الموعد تماما..!

واسرع «ياسر» يجلس بينهم قائلا عندي أخبار خطيرة أريد أن اتكلم معكم بشأنها ولكن بدون أن يسمعنا أحد

أشار «علي» إلى الخيمة وقال: هيا بنا!

وفي داخل الخيمة قال لهم «ياسر» هامسا اسمعوا! يجب أن ننهي تماما خطتنا في الرحلة التي كما قد قررنا القيام بها. ستتغير الخطة إن تركنا هؤلاء الناس وحدهم بدا

همست «هند»: تحدث بسرعة. اخبرنا أولا ماذا تعرف؟!

ياسر. لقد استطعت بعد مجهود جبار أن أحور ثقة هذا الصغير «عمر». وبعد محاولات كثيرة اخبرني بشيء لا يصدق.. إنهم سيهجرون ارضهم عدا قبل أن يأتي زلزال كبير يهز الأرض ويدمرهم كما حدث مع أهالي الخيم الذين تقابلنا

معهم، وأخبري انهم لسوا أول ناس يهجرون أراضيهم فقد سبقهم نجع آخر أي ان هذا النجع هو الثالث وقد سألته كيف عرفوا بأمر الزلزال فأخبري أن أهالي النجع الأول جاءهم انذار، فاستسلموا وهجروا أرضهم على الفور. أما النجع الثاني فقد رفضوا الخروج من أرضهم فحدث الزلزال الذي دمر الخيام وانشحر وأهال الرمال على رؤوسهم. لذلك فان أهالي هذا النجع قرروا الهجرة قبل ان يحدث الزلزال.

حاسر. هذا غريب أنهم يخبرك «عمره» كيف يأتي الإنذار بالزلزال!.

ياسر. إنه لا يعرف. قال لي فقط إن شيخ القبيلة أخبرهم ان عليهم الرحيل. وقد قرروا طاعته!

هند. العرب في الأمر أني قرأت كثيرا عن الزلازل ولكني لم اعرف قط ان الصحراء العربية هذه عرضة للزلزال أو أن الزلزال يحدث في كل نجع على حدة خاصة وأن النجوع ليست بعيدة عن بعضها، فلا بد وأن تكون كلها في نطاق منطقة الزلزال الواحد. هكذا يقول العلم، والمنطق!

حاسر. والأغرب من ذلك أن الزلزال يرسل إنذارا لشيخ القبيلة

هند: وما العمل الآن؟

ياسر .. لي لم تحركه سافي الغضب .. لقد حرمني «عمره» أن رؤساء القبائل في الصحراء كلها قررت انتقاء البنه في خيمة أحدهم على أشرف مجمع اشتي وغريب من «عين قطاره» وقد وعدني «عمره» بأنه سيضطحبني الى هناك بعد خروج الشيخ «عمره» من هنا وقد وعدته بأن أصوره عشر صور كاملة، وربما أستطيع أن أعرف شيئاً في هذا الاجتماع

هند: وهل تذهب وحدك؟

وهنا قفز «عجيبة» واقفاً وكأنه يستعد للذهاب فقال ياسر لبس اليوم يا عجيبة، كلاب الحراسة كثيرة في الصحراء وقد تشتبك معها وتفسد مهمتي!

حمير: سكون في الله حلال تفقى عليك!

عجيبة: من أسمح لك بالذهاب وحدك فأن هنا مسؤول عنكم!!

ياسر: اصمتوا! ليس في هذه الرحلة أي خطر إنهم ياس ضيوف جداً ورؤساء جداً!

وسرح «ياسر» الى سيارته فأحضر نظارته وسعد جداً وقال: هنا نجلس أمام باب خيمة حتى يعرف «عمره» مكاني!

جلسوا يتحادثون أمام الخيمة وقالت هند: فهمت الآن لماذا كان

«عجيبة» سح قبل هبوب عاصفة ان الكلاب دائما تشعر بالزلازل قبل حدوثها.

ياسر: لقد كان الزلزال هو الذي جعل سيارتك تهتز اكثر من مرة. ولدلك لم تعرف عجلاتها في الرمال إنه زلزال وليس عاصفة كما تصورنا!

هند: أنا لا أتصور زلزالا يحدث الآن قبل حدوثه!

جاسر: خصوصا أنه ليس هناك أي آلات بكتروسه تحدث بالزلازل

جاسر: أمر غامض.. غامض تماما!

هند: وهكذا العاصفة العاصفة تطاردنا حتى وسط الصحراء!

ياسر: فكري يا «ملكة التفكير»!

وسح «عجيبة» ووقف مستعدا، وتطوع كل «عمر» نقف قريبا، وأسرع إليه ياسر، قال «عمر» هل أنت مستعد؟ لقد خرج شيخ عمار وابنه الآن! هل تذهب وراءهم؟؟

ياسر: طبعا.. هل أنت خائف؟!

عمر: أنا.. إني أقف الصحراء كلها طوال الليل وأعود كالشياطين! إني أحفظ طرقها ودروبها وكل حبة رمل فيها عن ظهر قلب!

ياسر حسنا هيا بنا!

وكأنهما شبحان عاصفان اخترقا الظلام وسارا سريعا إلى قلب الصحراء ولم يمض بخطوات حتى كانا قد غابا عن عيون حاسر وهند وعمي، وأطلق «عجيبة» نحيبه عاليه

وربت «حاسر» على ظهره ليهدئه ونظر الى شقيقته ونظرت إليه وعبرت نظراتهما عن الخوف العميق

ترى ما الذي يمكن أن يحدث «لياسر» وهو يمضي في مكان غريب لم يره من قبل ولا يعرف فيه أي اتجاه أو طريق هل يعود وهل تأخر وبدأ عد فهل يأتي ومعه ما يريح الغموض عن لغز هذه الزلازل الغريبة..

وأخذت هذه الأفكار تعصف برأس لشقيقين حتى قال حاسر، أخيرا ادهبي أنت إلى النوم، أما أن فسأبقى مع عمي وعجيبة لحراسة السيارة من يدري فقد تعرض لأولاد أو الغرباء يتسللون إليها

هند: هل توقظني إذا عاد ياسر؟

حاسر. طبعا. هيا إلى النوم وسيحرسنا جميعا نجمه

ومضت هند إلى داخل الخيمه ولكن النوم أين هو النوم؟!

هل يزور جفنيها وهي تشعر بكل هذا القلق على شقيقها ياسر الذي يمضي الآن كالفارس الشجاع وسط الصحراء والمجهول!

في الطريق الى المجهول..

لم تدر «هند» كم مضى من الوقت وهي تحاول النوم، فقد أخذت الأفكار السوداء تقتحم فكرها وتذكرت كل الأخطار التي حدثت في الصحراء ومصير كل من حاول عبورها. تذكرت جيش «قمبيز» الذي أرسله من طيبة — الأقصر حاليا — ليغزو واحة سيوة ويؤدب أهلها، ولكن عواصف الصحراء قضت تماما على الجيش المكون من خمسين الف محارب ودفن في رمال الصحراء، ورغم مرور اكثر من ٢٥٠٠ سنة على هذا الغزو فان «سيوة» ما زالت تحتفظ بسره الذي لم يعرفه أحد حتى الآن، فهل يحدث يا ترى «لياسر» ما حدث لجيش «قمبيز»!

وأخذت الخواطر الكئيبة تحتشد بها، ان اشهر جبل في المنطقه اسمه «جبل الموت» يا له من اسم كئيب! لقد أطلقوا عليه هذا الاسم لانهم عثروا فيه على مقابر فرعونيه قديمة قدم الزمان. لماذا لا تتذكر الآن إلا هذا الإسم؟ ان في الصحراء أماكن اخرى جميلة ومناطق رائعة. الجبل والرمال والآثار القديمه فلماذا لا تتذكر

الآن إلا الخطر والموت..؟!

ومضى الوقت ثقيلا ثقيلا وعل «هند» قد استغرقت في النوم وسط هذه الأفكار السوداء، ولكنها فجأة شعرت بكل أعصابها تتنبه. لقد احست بحركة في الخيمة ولم تفتح عينيها تنظرت لتتأكد وتأكدت كانت هناك يد تمتد نحو رأسها، وفكرت لعنه «حاسرة» جاء ليوقظها ولكنه لا.. لم يستطل هكذا.

وشعرت باليد تقترب من فراشها شيئا فشيئا وتدس تحت غطائها شيئا صغيرا ولم تنتظر أكثر من ذلك، فقرت «هند» جالسة، وقبضت بسرعة على اليد التي تحت الغطاء، وسمعت صرخة خافتة وتطرت إلى صاحب اليد. وتركتها في الحال كانت فتاة صغيرة، واحدة من الحرجى التي رعتها وصندت جراحها وكانت عيناها الواسعتان السوداوان جميلتان تنظران إلى «هند» في خوف شديد

قالت لها «هند» في دهشة ماذا تفعلين هنا يا صغيرتي؟

أشارت الصغيرة بيدها إلى الشيء الذي دسته تحت الغطاء وقالت:
لقد أردت أن أشكرك فأنت إنسانة نهذه الهدية، إنها نعجتي التي ألعب بها!

أمسكت «هند» بالهدية، كانت تمثالا صغيرا من الطين أشعلت مصباح النار وابتسمت في وجه الصغيرة، وكانت شعرها كان طويلا،

وقد صنعت منه صفائح رفيعة وعديدة مثل كل فتيات الواحات وقدمت الصفيحة وشكرتها وأعطتها بعض الحلوى

أخذت «هند» تفكر في بساطة هذه الطفلة، واهتزت عواطفها هذا التصرف الريفي العظيم وقامت من فراشها وخرجت إلى خارج الخيمة تبحث «خاسر» بما فعلته الصغيرة ولكنه لم يكن بالخارج، ودارت حول الخيمة وتفقدت السيارة لا أثر «لخاسر» ولا «عجيمة»

أين ذهب هو الآخر؟!

وهل يتركونها وحيدة؟! كان الظلام يخيط بالمكان و«علي» يغط في نوم عميق حتى يسير فتضل طريقها، فعادت إلى داخل الخيمة جلست بجوار المصباح الغازي وأخذت تتأمل هذه الطفلة الطيبة، وكانت تمثل تمثالا كأنه الكاتب المصري القديم، وحملته في يدها، وشعرت بأن في التمثال شيئا غريبا، وحركته في يدها وهي تحاول أن تحدد ما هو الغريب فيه؟ في الحال اكتشفت أن التمثال أثقل من أن يكون من نحاس، ولمعت في خاطرها فكرة وأسرعت تخرج من جيب الحقيبة الصغيرة التي تحتفظ بها لفتح المعلبات، وبدأت تزيل الطين وتستحث لها بعد قليل فقد كان صلبا على غير العادة وأخذ الطين يتناثر تظهر تحته قطعة لامعة صفراء، لامعة براقة، قطعة لا شك من الذهب الخالص

وذهب «هند» كان تمثالا ذهبيا تمثل معطى بطبقة سميكة

من الطين، ترى هل يعرف الأطفال الذين يلعبون به هذه الحقيقة؟ ومن أين أتوا به أين «حامد» ؟ أين «ياسر» إنها تريد أن تحذرهما بهذا الاكتشاف الخطير..

وسمعت همسا قادما، فأسرعت تحتمي التمثال تحت المرتفعة الموضوعة على الأرض ونظرت الى ساعة يدها، كانت تقترب من الثالثة ترى من القادم ؟ واضطربت كل خلية في جسمها ولكن رأس «عجيبة» الذي امتد من باب الخيمة أعاد الطمأنينة الى نفسها، ومن ورائه كان «حامد» ثم «ياسر».. وصاحت «هند» صارخة: أين كنتم؟

حامد: لقد تأخر «ياسر» وشعرت بالقلق، فتحولت باحثا عنه. ومن حسن الحظ أني قابلته عائدا.

ياسر: المهم الآن ما أحمله من أخبار.

هند: تحدث بسرعة..

ياسر: باختصار. لقد سرت مسافة طويلة حتى وصلنا الى خيمة كبيرة بين مجموعة من النخيل قرب عين من العيون. وهي على سفح جبل لم أره في أحلام أو توقع وجوده وكان عدد المجتمعين في الخيمة كبيرا، تسللت ونظرت من أحد الشقوق.. للأسف الشديد إنني لم أستطع أن أفهم اللغة التي يتحدثون بها إنها سريعة جدا وكأنها اللغة النوبية

ولكني فهمت من تعبيرات وجوههم، ومن كلمات قليلة استطعت أن أسمعها أن هناك خطراً يهدد كل المجموع في هذه المطفه وكان أحدهم يتكلم والجميع يهزون رؤوسهم موافقين ما عدا «عامر» ابن الشيخ «عمار» الذي كان يقف معترضا بين وقت وآخر، ومهددا بكلام لم أفهمه، ولكن أباه كان يأمره بالسكوت ثم ارتفعت الاصوات على شيء لم أعرفه، وعندئذ خرج «عامر» غاضبا وهو يحرج مسدسا من جيبه، وخرج خارج الخيمه ثائرا

وعندما بدأوا يتركون الخيمة أسرعت أنا و«عمره» عائدين وسألته عن معنى الذي حدث فهز رأسه وقال ان «عامر» يرفض الرحيل على عكس الباقين الذين وافقوا، وإن شيخ المشايخ قد وافق على أن يترك لشيخ «عماره» مهمه اليوم كله حتى يقنع الله بالرحيل ولم أعرف منه أكثر من ذلك

نظر بعضهم إلى بعض في صمت ثم قالت «هنده» أن يصف عندي بعض الأخبار الهامة. أنظروا.

والقت التمثال الذهبي بين أيديهم وبهتوا وحملقوا فيه بذهول وقصت عليهم «هنده» ما حدث!! غرقوا في افكارهم قليلا ثم سأل «ياسر». ما هو تفسير كل هذه الأحداث؟!

هذا حدي تفسير لها سأحركم به في الصباح، وما
دام معكم يوم حر فإن الرجل فسكون عند الوقت لتحرك.

واستقى كل منهم على فراشه، ووضع «هدا» المصباح بجوار
فراشه، وأخرج كتابا واستغرق في القراءة. حتى عيها النوم.

واستيقظت على ضوء الشمس الذي يعمر المكان، وكان شقيقاها
في انتظارها بجلسان بجوار فراشها في سكون. وفجرت
جالسة قالت «هدى ساعد الأقطار فور»

أجاب «ياسر» وهل كل سفر يدوم طعام حتى الآن؟ هيا إلى عين
الماء بغسلي وجهك الطعام حاضر هنا

وتقدم الى خان نخيمه كان الجو الطارح مع لحن والتمر
والعيش الساخن في انتظارها في بحطات عادت وقد
استردت كل نشاطها قالت وهي تتناول الطعام: لقد اصبحت
عندي نظرية لما يحدث هنا.

جاسر: وأنا أيضا، ولكن تحدثي أنت أولا

هدى كنت أقرأ في كتاب عن تاريخ الواحات أحضرته معي، ولقد
عرفت أن الاسكندر الأكبر قد اختار نفس الطريق هذا ليزور
إله «آمون» في واحة سيوه وقد ضل الطريق مدة سبعة
أيام في هذه الأماكن حتى نجح في الوصول الى هناك

واعتقد أن بعض الكنوز قد فقدت منه في الصحراء هنا في هذه المنطقة، الدليل على ذلك هذا التمثال الذهبي، ومن الممكن أيضا أن تكون هذه المنطقة مليئة بالذهب وأن الأهالي القدماء كانوا يصنعون منها التماثيل ويعطونها بالنقص، المهم أن في الصحراء لآلئ ثروة ذهبية ضخمة، وأيضا، فيها حاليا عصابة خطيرة تحاول الاستيلاء على هذا الذهب..

ياسر: كيف؟

هند: ان العصابة على مستوى عال جدا، إنها تستعمل الأجهزة الالكترونية الخطيرة لتمسح الرمال في المنطقة التي تريدها حتى تخيف الأهالي فيرحلون عنها تاركين لها المكان تبحث عن الذهب بدون أن يراها أحد.

ياسر: هل هذا ممكن؟!

حاسر طبعا وأنا متفق مع «هند» في كل ما تقول، وكان هذا رأيي الذي سأخبركم به، وقد قرأت كثيرا عن تأثير الالكترونيات على الطبيعة، وطبعا تعرفون أنه يمكن صناعة مطر صناعي، فمعدا لا تكون هناك زلازل صناعية

هند: هذا ما فكرت فيه.

ياسر: والحل يا «عبقرية التفكير»؟!

هند: هناك طريقان الأول والأسرع ان نتصل لاسلكيا بعمي، أما الثاني فسأخبركم به إذا لم ينجح في الاتصال بالشرطة!

حاسر: ليس لدينا وقت نضيعه هيا يا «ياسر» لقد أكدت ما يكفي حملا اليوم، تعال نحاول الاتصال بعمي عماد!

أسرع الثلاثة إلى غرفة الحاسب وأخرج «ياسر» جهاز اللاسلكي وأعده للاستعمال وأخذ يوجهه الى الموجة المتفق عليها. ونادى ولكن صوتا لم يستجب له نظر الى شقيقيه في دهشة تقدم «حاسر» وأخذ يجرب استعمال الجهاز ولكن أحدا لم يرد عليه، الا بعض أصوات كأنها صفير الرياح!

ياسر: الجهاز لا يعمل..

حاسر: لا. ولكنه يقع تحت منطقة من التشويش فلا يمكن أن تتحدث أو تسمع منه.

ياسر: والعمل؟!

هند: الخطة الثانية، عبيا الاتصال بمنشأة الثائر «عامر» وأن نضعه بأن يساعدنا في القضاء على هذه العصابة بأنفسنا

حاسر: هل تعتقدين أنه سيوافق؟

هند: ليس أمامنا حل آخر.

قفز «ياسر» واقفا وقال بتطوعي، سأحضر «عمر» وأقنعه بأن يذهب معي الى «عامر»

حاسر وأنا سأحاول اصلاح اللاسلكي

أحدث «هدى» تنظر إلى «ياسر» وهو سعد وتفكر هل سيحج في الاتصال بابن شيخ القبيلة واستهت على صوت «حاسر» وهو يقول سأترك اللاسلكي مفتوحا فقد يذهب التشويش وستطيع الاتصال بالمفتش «عماد»

ولم يمض وقت طويل حتى كان «ياسر» يقترب عائدا من السيارة ومعه «علي» و«عامر» وكان وجه ياسر متفائلا في حين أن الشاب تصهر على هيئته علامات الثورة الشديدة.

قال «ياسر» وهو يقدمه إلى شقيقيه لم أجد أبه مشقه في اقناع «عامر» بالتفاهم معنا، إنه مستعد للتعاون

عامر طبعا أنا تحت أمركم في أي عمل سقد به اسمه وأهلنا وأرضنا

ان أهلي كلهم شجعان، ولكنهم لا يستطيعون مواجهه هذه الزلازل، فهي شيء لا يحارب.

حاسر طبعا ولكنا سنستطيع مواجهه من يصنع الزلازل، سأوجه اليك الاسئلة فهل تجيب عليها؟!

عامر: تحت أمرك

جاسر: كيف تصل الإنذارات إلى القبائل؟

عامر: يأتي رجل أعرابي فقير إلى شيخ القبيلة ويطلب منه الرحيل مع قبيلته وإلا هدمت الزلازل بيوتهم وأرضهم وشجرهم وهذا الأعرابي لا يقول أبدا أكثر من ذلك ويبدو عليه الخوف القاتل. في أول الأمر لم يعبأ به أهالي النجوع القريبة فاذا بزلزال يطيح بكل ما فيها ومن فيها وكان كافيا لأن يطيع بقية الأهالي الانذار بمجرد وصول الأعرابي إليهم وقد تأكدوا من أنه رجل يستطيع أن يتنبأ بالغيب، ولذلك يعلم بموعد الزلزال!

ياسر: الا تعرف أنت أين يقيم هذا الأعرابي!

عامر لقد سئمت وزهقت عندما رأيت والدي لأعرف مكانه، سار طويلا في الصحراء، حتى وصل إلى «حبل لموب»، ثم تسلل إليه، واختفى في أحد كهوفه، ولكني لا أعرف أي كهف منها!

حاسر: هل تستطيع أن تصحبني إلى هذا الحبل؟ نحب أن نتسلل إليه، ونعرف من يقابل هذا الأعرابي هناك. وإذا كان ما تفكر فيه صحيحا، فسوف نعود الصحراء من الرمال، ومن هم وراءها!

عامر: هيه يمكنني الذهاب بكما، هل تذهب الآن؟

حاسر: هذا أفضل، سنسير في ضوء النهار وكأننا مجموعة من الكشافة وقد ضلت طريقها.

وهكذا قرر المغامرون أنفسهم، مضى ياسر وسعيد مع عامر وأسرع وراءهم عجيبة. بينما قرر أن يبقى حاسر مع هند.

هند: اطمئنوا عندما يكون كل في أمان هنا. الله معكم.

وكانت هند تحاول أن تقنع نفسها بأنها شجاعة، فقد كان عليهما أن ينتظرا ساعات طويلة ورهيبة حتى يعود الثلاثة، فها هم أولاء يذهبون إلى مصير غامض مجهول يواجهون وهم العزل عصابة مزودة بأعلى مستوى من الأجهزة الإليكترونية، ولكنها كانت تعرف إنهم يحاربون

من أجل قصة عادلة دفاعا عن أهلها.. وبلدهم وكنوزهم التاريخية العظيمة

ولمعت عيناها بالخوف والثقة بالنصر!

حاجز الموت!

كان «يسرة» يفكر في نفسه، لقد فهم الآن معنى كلمة يقطعون الصحراء ويطوون البيداء. فقد كان يسير مع «عامر» و«علي» فوق رمال اسي ترتفع حينا وتنخفض حينا فاطعا مئات الأمتار وساقه تئن حتى لا يستطيع أن يرفعها من ثقل الرمال. والساعات تمضي والحرارة تشتد والشمس ترسل لهيبها فوق رأسه. وتساءل كيف يعيش هؤلاء الناس هنا، يقضون العمر كله في مثل هذه الحياة وشعر بالاعجاب الشديد بهم بهذه القدرة العظيمة، وفجأة نبه من أفكاره إلى أن الأرض قد بدأت تنبسط تحت قدميه والحشائش تنحدر متناثرة في أول الأمر ثم أصبحت أرضا زراعية كبيرة وكأنها مرعى غني بالخضرة والخضار. الخضرة اسي ترتفع شيئا فشيئا حتى تصل الى ما يقرب من منتصف جبل هائل الحجم اصبح الان يواجههم تماما..

قال «عامر» وهم يقتربون من الأرض الخضراء لقد أتيت وراءه حتى هنا، ورأيته وهو يسلق الأرض الصخرية صاعدا الى

الحبل مثل القرود، ثم اختفى في مكان ما في مو جهتنا تماما.

توقفوا، ونظروا حولهم، كانت أشجار النخيل تتناثر أيضا محيطة بالجبل.

قال «علي». يبدو أن المياه هنا كثيرة

عامر: نعم. إن عيون الماء تتناثر هنا بين أشجار النخيل، وهي تمتد كلما اتجهنا جنوبا في الطريق الى سيوة..

ياسر أعتقد أننا لم نأت الى هنا لنتمتع بجمال الطبيعة، هيا نتحرك الى الامام.

ولم يتم كلمته ولم يتقدم خطوه أخرى حتى سمع صوت صفير حاد يمر بجوار أذنه فصاح: انبطحوا. انه صوت رصاص

ارتموا على الأرض وأخذوا يتدحرجون عائدين ليحتموا بعض أشجار النخيل.

وصمت صوت الرصاص وجلسوا خلف الأشجار

استطرد «ياسر» قائلا. لقد تحقق ظننا، إنها عصابة مسلحة خطيرة، جاءت تهدد حياة البسطاء!

عامر: إن معي مسدسا أنا أيضا.

«علي»: أرجو الا تستعمله ثم إنه لا يكفي وحده أمام هذا السيل من طلقات النار

عامر: وماذا نفعل الآن؟

ياسر: ما رأيك؟ تسلل من جانب آخر.

أخذوا يجرون وسط الاشجار محاذرين أن يرى أحد تحركاتهم حتى ابتعدوا كثيرا عن موقعهم الأول ثم اخذوا يجرون في محاولة لغزو الجبل!

ولم يسيروا كثير من خطوات قليلة حتى بدأ سيل من الرصاص يتناثر حولهم، ومرة أخرى ارتموا على الأرض وأسرعوا عائدين إلى الجبل نظر بعضهم الى بعض ليطمئن كل منهم على الآخر. وتهدوا في يأس. فجأة تذكر «ياسر» أن «عجينة» غير موجود معهم فصرخ عجينة عجينة.

وسمع نباحا بعيدا..

ونظر بحذر من وراء الصخرة كان «الكلب الذكي» يجري عند سفح الجبل وراء بعض الماعز.

وهتف «علي» غريبة! كيف استطاع التسلل الى هناك؟!

ياسر: لعلهم لا يضربون الا البشر. إسمعوا. اني أفكر في شيء مهم، لا يمكن طبعا أن يكون هناك أفراد من العصابة يكفي

لحمايه الحقل كله لا بد أنهم يمتلكون أجهزه آلية لرقابة الطريق، وتضرب كل سيارة يحاول الدخول الى المنطقة الحدية هذه الأجهزة لها مدى معين أي أنها تصيب الأشخاص في المكان الذي يصل اليه هذا المدى وهو المكان الذي يحيط بالمنطقه الحضراء، فاذا استطعنا اختراق هذا الحاجز فسنتمكن من الوصول إلى الحقل !!

عامر: واذا استطعنا أن نتسلل.

ياسر: مستحيل، إن هذه الأجهزة بلا شك سوف ستدرهم بوصولنا، وستحدهم في انتظارنا بالأحضان ضبعا!!

عامر: الحل الوحيد أن نتسلل بدون أن يشعروا بنا

« علي »: كيف ؟! إنهم يحاصرون الحقل بالآلهم ترهبه من كل ناحيه، ولن نتمكن أبدا من اختراق حاجز الموت هذا !!

ياسر: لا ستتمكن من اختراره تماما كما اجتازه «عجيبة» وكما عبرته هذه الأغنام!

وصاح «عامر» و«علي» في وقت واحد: ماذا تقصد؟

التفت «ياسر» الى «عامر» وقال: هل عندك بعض الأغنام؟

ثم أكمل صاحكا: سوف نستعمل نحن أيضا التكنولوجيا ولكنها تكنولوجيا بدائية!

عامر: طبعا..

ياسر وهل تملك بعض جنود الخراف الكسرة؟!

عامر: وهل تخلو خيمة منها!!

ياسر: حسنا ما رأيك في أن نحضر هذه الجلود وبعض الأعلام، ونضعها عليها كأنها من الأعلام التي ترعى هنا، ونتسلل وسطها إلى الجبل كما فعل «عنجهية»!

عامر: فكرة رائعة!

ياسر: أرجو أن تنجح!!

عامر سأحضر في أسرع وقت ممكن

وأسرع عائدا الى الجبل في حين بقي «ياسر» و«علي» ينظر أحدهما الى الآخر في تساؤل صامت، وكأنهما يتساءلان. هل يعود؟ وإذا عاد، هل تنفع هذه الخطة؟!

أخذ «ياسر» يقضي الوقت في أكل السمك الذي يتساقط من فوق أشجار الجبل وأخذ «علي» يحاول أن ينظر الى الجبل من خلال السجيل لعله يستطيع أن يرى أو يلمح شيئا بدله على مكان العصابة، وكان ينظر بدون فائدة، فالجبل صامت وبعد لا تلوح فيه بادرة حياة ولا تلمح فيه بايا ولا منفذا

والعجيب أنه لم يمض وقت طويل حتى سمعوا صوت أعلام تقترب

ونساءل «ياسر» هل عاد «عامر» بهذه السرعة؟!

وظهر «عامر» وكان في ظهوره بعير لحصوره السريع، فقد كان يركب جملا، وقال وهو ينزل من فوقه: لقد مررت على «هند وحاسر» وضمانهما حتى لا يقلقا مع مرور الوقت!

شكره الاثنان إنه يفكر في كل شيء

أخذوا جنود الحراف وثبتها كل واحد للأخر حول جسمه ورأسه جيدا بعض الحبال التي احضرها «عامر» معه. وابتسموا وسط الأعمام وهم يحرصون على أن يحتو قدر طاقتهم حتى يكونوا في حماية بقيه الحراف، فلا يصيبهم الرصاص اذا أطلقوه عليهم.. وبطء أخذوا يتحركون وسط القطيع الصغير الذي انطلق بدون توجيه الى المرعى الأخضر كانت قلوبهم تدق في صدورهم وهم يحتارون خط الموت الأخضر. هل تنجح الفكرة؟ ويعبر الثلاثة بسلام

ولم يشعروا إلا وهم وسط السهل الأخضر وسط الأعمام، لقد نجحوا عبروا الخطر. إنهم الآن في أمان، ولم يتحدث واحد منهم إلى الأخر، ولكن «عامر» الخبير بالأعمام كان يحث أغنامه على الاقتراب — وهم بينهم — شيئا فشيئا من الجمل وفجأة حدث ما لم يتوقعه الثلاثة لقد ظهر «عجيبة» وهمس «ياسر» من بين أسنانه: لقد ضاع كل ما سياه فقد كان متأكدا أن «عجيبة» سوف يعرفهم على

الغور وستقر ويسح ساحا يكشف حيلهم بغير شك

ولكن العجيب بل المذهل أن «الكلب» اقترب منهم في صمت لم يسبح ولم يقفز، بل أخذ يتمسح في «ياسر» تارة وفي «علي» أخرى وفي نظراته تعبير غريب..

وهمس «ياسر» نفسه يا كلبي المخلص العزيز، أنت تفهم ما يفعل، يا عزيزي كم أود أن أحتضنك بين ذراعي أنت أذكى كلب في العالم ولكن عيون «عجيبة» كانت تقول شيئا آخر يقفز إليهم ثم يسير مبتعدا، ويقف فإذا لم يتحركوا، يعود ليقفز إليهم مرة أخرى ويجري في بطء

وقال «ياسر» إنه يريدنا أن نتبعه

اقترب من «عامر» وطلب منه أن يقود الأغنام وراء «عجيبة» وبمهارة، تحولت الأغنام في طريقها وراءه ودار حول الجبل ثم توقف وسبح ساحا هادئا بطيئا واختفى!

وراءه سارت الأغنام، كانت هناك فتحة في الجبل كبيرة ومظلمة، ولكن ساح «عجيبة» الخائف كان يناديهم.. وأنصتوا صوت آخر غير صوت الكلب، صوت أنين خافت!!

ونسوا حذرهم وقفزوا إلى داخل الكهف، وعلى الضوء البسيط رأوا أن الكهف كبير واسع وبه سيارة جيب صدمه منبه كان الصوت يبعث منها، و«عجيبة» يقفز ويقفز من نافذتها الى الداخل..

أسرعوا إلى الحجرة فتحوا بابها، كان في داخلها رجل بدين وأشعل «ياسر» بطاريته وسلط ضوءها إلى جهة الأيمن ورأى رجلا مقيد على كرسي وقد شد وثاقه بربط متين وعلى فمه قطعة ضخمة من «البلاستر» وقد كاد يختنق.

أسرع إليه الثلاثة يتعاونون في فك وثاقه، ورفعوا عن فمه «البلاستر» بكل صعوبة وكان على وشك الإغماء عندما أخرج «ياسر» من جيبه أنبوبة من البلسام ووضعها على أنفه!

أفاق الرجل ونظر إليهم برعب وقال من أنتم؟ كيف تمكنتم من الوصول إلى هنا؟!

تذكروا فجأة أنهم ما زالوا يضعون أقنعة الخراف على أجسامهم. تخلصوا منها وقال ياسر نحن الذين يوجه لك هذا السؤال؟ من أنت وكيف أتيت الى هنا؟

وصاح «عمي» هامسا ماذا جاء بك هنا يا أسطى سماحة؟

نظر إليه الرجل مندهشا وقال عمي كيف جئت أنت الى هنا؟!

قال «عمي» إجابتك لنا أنت أولا. ماذا حدث بالتفصيل.

ياسر لا داعي لأن نضيع الوقت في الكلام فقد فاجأنا أحد! سماحة سأحكي لكم باختصار لقد حضرت الى هنا مرغما فقد اتفقت مع أربعة من المسلحين على رحلة إلى مرسي مطروح

ولكنهم هددوني بالقتل حتى وصلنا الى هنا، وفي أول الأمر حاولت ارضاءهم واقناعهم بأني سأتعاون معهم، حتى رأيتهم يجمعون كورا هائلة من الأرض، كور تلادنا فكاد يصيبني الجنون، وفي لحظة اندفعت الى الكهف الذي يضعون فيه أجهزة الزلازل والإنذار التي يحيطون بها الأهالي المساكين، لأحطمها ولكنهم فاجأوني فقيدوني هنا

ياسر: ولماذا لم يقتلوك؟

سماحة: أعتقد أنهم يحتاجون إلى سائق بعد انتهاء مهمتهم

ياسر: يجب أن نتحرك فورا، هل تعرف الكهف الذي به هذه الآلات وأين أفراد العصابة الآن؟

سماحة: أفراد العصابة أربعة لا غير، ولكنهم يسيطرون بأجهزة رهيبة وضعوها في كهف صغير، وقد جلسوا هم في كهف آخر ومعهم أجهزة أخرى للتحكم في الزلازل وتحريكها وتحويلها إلى المكان الذي يريدون وكهف الأجهزة قريب من هنا، في حين يجلسون هم في مواجهة الواحات

ياسر: هيا بنا. يجب أن نصل إلى كهف الأجهزة فورا

ربت «ياسر» على ظهر «عجيبة» شاكرا وتقدم «سماحة» المجموعة، ووراءه «عامر» الذي كان يتسلق الحبل مثل القرود، ثم «ياسر» و«علي» ولم يكن الأمر سهلا، فالحبل أملس في بعض

الأماكن لا يكاد يستطيع أحد أن يمسك به فكان عليهم البحث عن مكان آخر.

وكانت الشمس قد بدأت تغيب وبدأ الظلام يخيم، ولكن كان عليهم الوصول بسرعة قبل أن تكتشفهم العصابة ولا يبقى أمامهم إلا الموت، وبمشقة وجهد رائع كان الأربعة يتقدمون خطوة وراء الأخرى حتى توقف أخيرا «سماحة» وقال مشيرا الى فتحة في صخور تجلس هنا وتقدم «ياسر» ممسكا ببطاريته وصرخ «علي»: انتظر.

وتوقف الجميع وسلط «ياسر» ضوء بطاريته على سلك دقيق في الأرض وقال هذا السلك، واحد من اثنين إما أنه سلك كهربائي لبعض كهوف أو سلك للانذار بدق اذ عبر أحد من فوقه.

«سماحة» يبدو أنه سلك انذار فعلا، إنه هو الذي سهلهم الى وجودي في الكهوف؟

وسأل «عامر»: وما العمل الآن؟

ياسر: يجب أن نتخلص منه أولا!

«علي»: كيف؟

ياسر: انتظر.

أمسك باسطريه وساعده سلك لم يرد سيره على مرئيس ثم انحنى على الأرض وقال على انحث حولك عن قطعة من الخشب.

وبحثوا جميعا حتى عثروا على قطعة خشبية متينة وامسك «ياسر» قطعة الخشب وقطعها بالمطواه الى نصفين ثم استعمل المطواه وكأنها « مبراة » يشحذ بها القطعتين فأصبحت كالسكين

كان الثلاثة يقرون به وكأنه أحد الحواه، وراح قطعه من الصخر ونحتها صهر حجر صغير بحرج منه السلك، وبمهارة شديده استعمل « ياسر » قطعة الخشب ليسند بها الحجار و لاخرى لتحدب السلك بهدوء شديد ودقه ومهاره وتعلقت الانظار بقطعه الخشب وهي تحدب السلك بيد فشيئا حتى سمعوا صوت تكة خفيفه ثم انفصل السلك عن الحجر وقف «ياسر» وشهد بعمق وقال لأن يمكننا اقتحام الكهف

وسأل «سمحة» أن يتعلق حرس لاسر "

ياسر لا إنه يتعلق عندما يمر فوقه جسم متحرك، و بحثت موصل رديء لكهرباء، لذلك استعمله لفصل السلك عن الحجار وأسرعوا عائدين إلى الكهف واحدا واحدا وأمام مجموعة من الآلات ولعدد العربية تملأ الكهف وقفوا في دهول وقال «ياسر» حساره أن ندمر هذه الآلات أو نحطمها.

وبحرث قلق وقال لا. سنسب خسارة يجب أن ندمرها فوراً، لا وقت لدينا.

وفجأة اندفع «عامر» الى الآلات وفي يده حجر ثقيل يحطمها ويدمرها ويحيلها الى مجموعة من الأسلاك ومعه اندفع الدفوف

قال «ياسر» كنت تمنى أن يأخذها معنا يدرسها «خاسر»

عامر لا، إنها آلات شخصية من صنع الشيطان

وفي دقائق كانت الآلات الرهيبة قد تحولت الى كومة من الحديد والرجاج والأسلاك وكان «عامر» يرقص فوقها «هو يقول بعد هذا لا يمكن أن يرحل من الأرض من يرحل من هذا

وأمسك «ياسر» به يوقفه عن تحطيم وقال له هيا بنا يجب أن نسهي مهمتنا ونقص على أفراد عصابة قبل أن يشعروا اسا

وبدأ الأربعة يخرجون من الكهف واحدا واحدا كما دخلوه.. وكانت خطتهم أن يدوروا حول التل ليقفزوا على الكهف الذي يحرس فيه عصابة فجأة ومن فتحة الضلاء اندفع كشاف ضخم يطوف بالتل ويقف عندهم واحدا ثم الثاني هكذا وصرخ «ياسر» يجب كل واحد منكم وراء صخرة وأسرعوا يختفون وراء الصخور «لكشاف يطوف بهم باحثا عنهم، ومن فوق قمة التل، ومن أربع جهات، بدأت طلقات الرصاص تنهال عليهم، وصرخ «ياسر» صرخة

وكانت هذه خطة «ياسر» ان يدفعهم للنزول إلى مكانهم، ونجحت الخطة.. وعندما وصل افراد العصابة وجدوا أنفسهم يسقطون تحت ثقل أربعة أجسام أخرى التحمت بهم بالايدي بعد أن أسقط منهم الأسلحة النارية ودار قتال عنيف استعمل «ياسر» فيه كل فنون الكاراتيه التي يتقنها، ولكن الأعداء كانوا ايضا يمارسون بالقوة.. فجأة ارتفع صوت في الفضاء وبدأ المكان يلمع بالاضواء.. كان صوت طائرة هيليكوبتر تقترب وهي تقذف بعشرات من القذائف المضيئة، وأصبح المكان مضاء وكأنه في قلب النهار.. ونزلت الطائرة، ونظروا اليها في ذهول ومن قلبها قفز عشرات الجنود.. وكانت هذه هي اللحظة التي تمكن فيها افراد

العصابة من الهرب والبحري بعيدا عن الحكاية ما عدا واحد فقط كان «عجيبة» يمسك بساقه بين فكيه بكل قوة، والرجل لا يملك لا الصراخ ولربما ما كان «ياسر» قد سقط ودمه يسرف وهو يمسك كتفه ويمنع نفسه من الأنين ولكنه شعر بالدوار وكاد يسقط من مكانه عندما شعر بساعديه يختصانه وتمنعانه من السقوط ونظر إلى صاحب الساعدين فلم يصدق نفسه. كان المفتش «عماد» يبتسم في وجهه ويقول إطمئن لن يهربوا بعيدا من الجنود يحيطون بالمكان كله.

جهاز الانقاذ!

وبعد ساعات جلس المفتش «عماد» وسط اصدقائه في الحجرة الكبيرة بعد ان صمدوا خرج «ناصر» الذي حدث سيحة لأحدهم سفحيه من رصاصه في كتفه واسمه «عماد» وقال من يصدق، لقد بدأ رحلة عادية، انتهت بأغرب مغامره في قلب الصحراء.

سأله «ناصر» كيف وصلت الى هنا؟

أشار المفتش «عماد» الى «هدى» وقال سأتوها ضحكت «هدى» وقالت الحقيقه هي بعد أن تعلم عني أحدث فكر في جهاز اللاسلكي، وقال لي «حسن» ان الجهاز يعمل ولكن عليه تشويش وأنا اعرف ان التشويش يكون في مناطق محدده، فكرت أن ابتعد بالسياره قليلا عسى ان ينتهي عن منطقه التشويش وهذا ما حدث فقد «حسن» بعيدة لسيارة، وسمحود من أجل ذلك فهي مخالفة فوقه لأنه

لا سلك رصه قاده وابتعدنا قليلا وهنا أحسست أن الجهاز قد صدر منه صوت التشويش وبدأ جاسر يتعامل معه فسمعت صوتا يخاطب قصت المفتش عمد واخبره بكل ما حدث فصب منا البقاء مكانا حتى يحضر بالطائره فورا، وهذا ما حدث.

المفتش عماد ان تفكير هند ممتاز كما هي العاده، وعلى فكرة لقد ستصعا القبض على أفراد عصابة وكنا نبحث عنهم، بهم رؤساء أربع عصابات ولكننا لم نعرف طريقهم حتى قضتم أنتم عليهم!

سامر هند هل استطاعوا تهريب الآثار الى الخارج؟

عمد لا، لقد كنا في الكهوف نستطيع ان يخرجوا بها ولكنكم كنتم أسرع فحاصرتم على ثروه البلاد.

عامر لأن يستطيع أن نعيش مره أخرى في سلام!

مفتش «عمد» ما هي خطتكم. هل تتابعون الرحلة؟!

هند للأسف لا يجب أن نعود حتى يسترد ياسر صحته

جاسر: ربما نعود مرة اخرى.. يوما ما..

وسح «عجيبة»

وضحك المفتش عماد وقال أنت بطل عظيم.. كنت أول من أمسك بالحيط سأصنع لك ميدالية ذهبية !.. والآن اعتقد أنكم ستعودون معي في الطائرة وسنرسل من يأخذ السيارة ليعود بها، اما « علي » والأسطى « سماحة » في حالة من التعب والإرهاق لا تسمح لهما بذلك ولتف الجميع حول المفتش عماد يشكرونه.

وانتبهوا على ضجيج خارج الخيمة كان أهالي القرية يتقدمون حول الخيمة محملين بالهدايا.. يضحكون ويغنون..

خرجوا اليهم ليشكروهم.. ويعتذروا عن كل هذه الهدايا..

وقالت «هند» وفي عيونها دموع الفرحة. سنعود مرة اخرى
سنعود.. سنعود..
وطارت بهم الطائرة!
وبقيت الصحراء مدثة بالكنوز والغموض والأسرار!!

المغامرة القادمة:

سر الأم الحزينة

مغامرة إنسانية من نوع جديد..

حيث يصطدم المغامرون الثلاثة بسلاح لا يقاوم..

سلاح الدموع.. دموع أم حزينة..

فلا يجدون أمامهم سوى التسليم، والاستسلام..

ولكن.. تبدأ المفاجآت..

مثيرة.. وغامضة.. وغريبة !

هذه المغامرة

تأليف : رجاء عبد الله

سر جبل الرعب

انطلق المغامرون الثلاثة جاسر وياسر وهند إلى قلب الصحراء.. يستكشفون المجهول!

إجازة عادية.. ولكن الصحارى.. والغموض والأسرار.. وطلقات الرصاص كانت في انتظارهم..

اهتزت الأرض.. وغضب عليهم جبل الرعب..

وواجهوا مصيرهم الغامض..

هل يعودون من رحلة الصحراء المميتة؟!

هذا ما ستعرفه في هذه المغامرة..

دار الجيل
للطبع والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

M.Raafat
عرب كوميكس
Arab Comics
WWW.ArabComics.

BLUE
BIRD
Scan By : M.Raafat & Rabab